

الفصل الثاني

فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ١٩٤٨-١٩١٨



فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨

مقدمة:



• إدmond اللنبى

أمّ البريطانىون احتلال جنوب فلسطين ووسطها فى كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧، واحتلوا القدس فى ١٩١٧/١٢/٩. وخطب قائد الجيش البريطانى اللنبى Allenby فى القدس محتفلاً بانتصاره قائلاً: ”والآن انتهت الحروب الصليبية“^١، وكان حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية، وكان الحروب الصليبية لم تتوقف منذ أن شنّها الأوروبيون قبل ذلك بأكثر من ٨٠٠ سنة. وفى أيلول/سبتمبر ١٩١٨ احتل البريطانىون شمال فلسطين، كما احتلوا فى أيلول/سبتمبر - تشرين

الأول/أكتوبر ١٩١٨ شرق الأردن وسورية ولبنان. ومنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، واستطاعت بريطانيا بعد ذلك إقناع فرنسا بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين كما فى نصوص سايكس-بيكو، مقابل رفع بريطانيا لدعمها للحكومة العربية التي نشأت فى دمشق بزعامة فيصل بن الشريف حسين، حتى تتمكن فرنسا من احتلال سورية.

وفرت بريطانيا لنفسها غطاءً دولياً باستصدار قرار من عصبة الأمم فى ١٩٢٢/٧/٢٤ بانتدابها على فلسطين، وتمّ تضمين وعد بلفور فى صكّ الانتداب، بحيث أصبح التزاماً رسمياً معتمداً دولياً. غير أن فكرة الانتداب التي ابتدعتها عصبة الأمم، كانت قائمة على أساس مساعدة الشعوب المنتدبة وإعدادها لنيل استقلالها. وقد تضمن صكّ الانتداب نفسه على فلسطين مسؤولية الدولة المنتدبة (بريطانيا) فى الارتقاء بمؤسسات الحكم المحلي، وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين. وهذا يعنى ألا يقف وعد بلفور فى نهاية الأمر عائقاً فى وجه أبناء فلسطين ضدّ الارتقاء بمؤسساتهم وإقامة دولتهم. وكان تنفيذ وعد بلفور يعنى عملياً الإضرار بمصالح أهل فلسطين وحقوقهم، وتعطيل بناء مؤسساتهم الدستورية باتجاه إقامة دولتهم. وقد فضلت بريطانيا دائماً التزام الشق المتعلق بوعد بلفور، وأصمّت أذانها ولم تحترم الشق المتعلق بحقوق أبناء



فلسطين العرب الذين كانوا يمثلون نحو ٩٢% من السكان عند بداية الاحتلال. وربما أرادت بريطانيا من إيجاد نصوص متعلقة بحقوق الفلسطينيين إظهار نفسها بمظهر الحكم العادل بين الطرفين العربي واليهودي، وتشجيع الفلسطينيين على المطالبة بحقوقهم وفق أساليب مدنية "دستورية"، وعدم إغلاق كافة المنافذ أمامهم، بحيث لا يصلون إلى درجة الانفجار والثورة بسرعة، في الوقت الذي تقوم فيه بالتسوية والمماطلة، ريثما يتم لها ترسيخ الوطن القومي اليهودي في فلسطين.



• آرثر واكبوب

وضعت بريطانيا فلسطين تحت الحكم العسكري حتى نهاية حزيران/يونيو ١٩٢٠، ثم حولتها إلى الحكم المدني، وعينت اليهودي الصهيوني هربرت صمويل أول "مندوب سام" لها على فلسطين (١٩٢٠-١٩٢٥) حيث شرع في تنفيذ المشروع الصهيوني ميدانياً على الأرض. وتابع المندوبون "السامون" المسيرة نفسها، غير أن أكثرهم سوءاً ودهاءً ونجاحاً في التنفيذ كان آرثر واكبوب (١٩٣١-١٩٣٨) حيث وصل المشروع الصهيوني في عهده إلى درجات خطيرة.

أولاً: تطور المشروع الصهيوني:

وعلى أي حال، فقد عاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة رهيبة، فحُرم أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستورية وحُكم أنفسهم، ووضِعوا تحت الحكم البريطاني المباشر، وأُعطِيَ المندوبون السامون صلاحيات مطلقة. وضيقت بريطانيا على الفلسطينيين سبل العيش وكسب الرزق، وشجعت الفساد، وسعت لتعميق الانقسامات العائلية والطائفية وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم. وفي المقابل شجعت الهجرة اليهودية، فزاد عدد اليهود من ٥٥ ألفاً (٨% من السكان) سنة ١٩١٨ إلى ٦٤٦ ألفاً (٣١,٧% من السكان) سنة ١٩٤٨. وبالرغم من الجهود اليهودية - البريطانية المضنية للحصول على الأرض، إلا أن اليهود لم يتمكنوا من الحصول سوى على نحو ٦% من فلسطين بحلول ١٩٤٨، كان معظمها إما



أراضٍ حكومية، أو أراضٍ باعها إقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يقيمون في لبنان وسورية وغيرها، وقد بنى اليهود على هذه الأراضي ٢٩١ مستعمرة.

وفي الوقت الذي كانت السلطات البريطانية تسعى حثيثاً لنزع أسلحة الفلسطينيين، وتقتل أحياناً من يحوز سلاحاً نارياً، بل وتسجن لسنوات من يملك رصاصات أو خنجراً أو سكيناً طويلاً، فإنها غضت الطرف، بل وشجعت سراً تسليح اليهود لأنفسهم، وتشكيلهم قوات عسكرية وتدريبها، بلغ عددها مع اندلاع حرب ١٩٤٨ أكثر من ٧٠ ألف مقاتل (٦٤ ألف مقاتل من الهاغاناه Haganah، وخمسة آلاف من الأرغون، وألفين من شتيرن... وغيرها)، وهو عدد يبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش العربية السبعة عندما دخلت في حرب ١٩٤٨!! وأسس اليهود الوكالة اليهودية سنة ١٩٢٩، والتي تولت شؤون اليهود في فلسطين، وأصبحت أشبه بدولة داخل دولة لما تمتعت به من صلاحيات واسعة. وأقام اليهود مؤسسات اقتصادية واجتماعية وتعليمية ضخمة، شكلت بنية تحتية قوية للدولة اليهودية القادمة، فتأسس اتحاد العمال (الهستدروت Histadrut) وافتتحت الجامعة العبرية بالقدس سنة ١٩٢٥... وهكذا، فإن الظلم والقهر والمحاباة كان السمة الأبرز للاستعمار البريطاني لفلسطين.



• جنود الهاغاناه ١٩٤٨

ثانياً: ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية:

وبالرغم من حالة الإنهاك التي خرج بها الفلسطينيون من الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من وقوع البلاد العربية من حولهم، والعالم الإسلامي بشكل عام، تحت سطوة الاستعمار ونفوذه، وبالرغم من ضعف إمكاناتهم المادية، وانعدام أدوات الضغط والنفوذ السياسي لديهم، مقارنة بما حظي به المشروع الصهيوني من دعم يهودي عالمي، ومن رعاية القوى العظمى له، بالرغم من ذلك كله، فإن التمسك بحقهم الكامل في فلسطين، والإصرار على استقلالهم مهما كلف الثمن، كانت السمة الأبرز لنشاطهم السياسي الجهادي طوال فترة الاحتلال البريطاني. وقد تمحور النشاط السياسي الفلسطيني حول مطالب محددة أبرزها:

- إلغاء وعد بلفور لما يتضمنه من ظلم وإجحاف بحقوق الأغلبية الساحقة من السكان.
- إيقاف الهجرة اليهودية.
- وقف بيع الأراضي لليهود.
- إقامة حكومة وطنية فلسطينية منتخبة عبر برلمان (مجلس تشريعي) يمثل الإرادة الحقيقية الحرة للسكان.
- الدخول في مفاوضات مع البريطانيين لعقد معاهدة، تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين.

وعلى هذه الأسس نشأت الحركة الوطنية الفلسطينية، وأقام الفلسطينيون مؤتمرهم الأول (المؤتمر العربي الفلسطيني ١/٢٧-١٠/٢٧/١٩١٩) في القدس، فرفض تقسيم بلاد الشام وفق المصالح الاستعمارية، وعدّ فلسطين جزءاً من سورية (بلاد الشام)، وطالب باستقلال سورية ضمن الوحدة العربية، وتشكيل حكومة وطنية تمارس الحكم في فلسطين، وقد عقد الفلسطينيون سبعة مؤتمرات من هذا النوع حتى سنة ١٩٢٨. وبرز في قيادة



• موسى كاظم الحسيني

الحركة الوطنية رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني موسى كاظم الحسيني الذي استمر في الزعامة الرسمية للحركة الوطنية حتى وفاته في آذار/ مارس ١٩٣٤.





• الحاج أمين الحسيني

غير أنه من الناحية الفعلية برز اسم الحاج أمين الحسيني، الذي أصبح مفتي القدس سنة ١٩٢١، ورئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى منذ تأسيسه سنة ١٩٢٢، والذي غدا أهم قلعة للحركة الوطنية والقوة الدافعة خلفها. وبوفاة موسى كاظم الحسيني، أصبح الحاج أمين زعيم فلسطين دون منازع حتى نهاية الاستعمار البريطاني سنة ١٩٤٨.

الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٢٩:

ركزت الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصاً خلال الفترة ١٩١٨-١٩٢٩ على المقاومة السلمية للمشروع الصهيوني، ومحاولة إقناع بريطانيا بالعدول عن وعد بلفور، وقد كان لا يزال لديها بقايا أمل في ذلك، خصوصاً وأن البريطانيين كانوا حلفاء الشريف حسين خلال الحرب العالمية الأولى، كما أن المشروع الصهيوني لم يكن قد حقق بعد أية نتائج عملية ذات أبعاد خطيرة على الوضع في فلسطين. هذا، فضلاً عن أن القيادة الفلسطينية لم تكن ترى أن الفلسطينيين يملكون الوسائل البديلة المكافئة التي تمكنهم من فرض إرادتهم على البريطانيين. كما أن القيادة نفسها لم تكن تملك العزيمة والإرادة والتماسك لتحدي البريطانيين بوسائل أكثر عنفاً. ولعبت قلة الخبرة السياسية، والتنافس العائلي على القيادة (الحسينية والنشاشيبية)، والذي أسهم البريطانيون في تأجيجه، دوره في إضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية. غير أن هذا لم يؤثر بشكل عام على الموقف المبدئي الفلسطيني من المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني، ومن المطالب السياسية العامة للحركة الوطنية.

ومن الناحية السياسية، أرسلت القيادة الفلسطينية وفدها الأول إلى لندن في تموز/ يوليو ١٩٢١، الذي التقى وزير المستعمرات ونستون تشرشل Winston Churchill وعدداً من المسؤولين، لكن جهوده لم تلق



• ونستون تشرشل

أذناً صاغية من الحكومة البريطانية، وإن كان نجاح في دفع مجلس اللوردات البريطاني بإصدار قرار برفض وعد بلفور. ومن جهة أخرى، أفضل الفلسطينيون محاولة بريطانية لتشكيل مجلس تشريعي في فلسطين سنة ١٩٢٣ منزوع الصلاحية الفعلية، ولا يمثل بشكل صحيح سكان فلسطين. ولقيت زيارة بلفور لفلسطين سنة ١٩٢٥ احتجاجات عامة، وتمت مقاطعته، ونُفذ إضراب شمل كل فلسطين. وفي المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي أقيم في ٢٢-٢٥/٨/١٩٢٢ وضع المؤتمر ميثاقاً وطنياً أقسموا اليمين التالي على الالتزام به: "نحن ممثلي الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المعقود في نابلس، نتعهد أمام الله والتاريخ والشعب على أن نستمر في جهودنا الرامية إلى استقلال بلادنا، وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة، وسوف لا نقبل بإقامة وطن قومي يهودي أو هجرة يهودية".

وخلال الفترة نفسها (١٩١٨-١٩٢٩) وقعت ثلاث ثورات عبرت بشكل قوي عن الغضب الشعبي العارم من المشروع الصهيوني، غير أنها وجهت غضبها ضد اليهود، وحاولت تجنب البريطانيين (بسبب العوامل المشار إليها سابقاً)، لكن الدور الأساسي في قمع هذه الثورات كان للبريطانيين. فكانت ثورة موسم النبي موسى في ٤-١٠/٤/١٩٢٠ في القدس التي أدت إلى مقتل خمسة يهود وجرح ٢١١ آخرين، ومقتل أربعة عرب وجرح ٢٤ آخرين؛ وثورة يافا في ١-٥/٥/١٩٢١ التي اندلعت في يافا، وشملت أجزاء من شمال فلسطين، وأدت إلى مقتل ٤٧ وجرح ١٤٦ يهودياً، بينما قتل ٤٨ وجرح ٧٣ عربياً؛ وثورة البراق التي تصاعدت أحداثها منذ ١٥ آب/أغسطس واستمرت حتى ٢/٩/١٩٢٩، وقد خاضها المسلمون دفاعاً عن حائط البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك) ضد الاعتداءات اليهودية، وانتشرت الثورة في كافة أرجاء فلسطين، وأدت إلى مقتل ١٣٣ وجرح ٣٣٩ يهودياً، وقتل ١١٦ عربياً وجرح ٢٣٢ آخرين. وفي الثورات الثلاث حدثت معظم إصابات اليهود على أيدي العرب، أما معظم إصابات العرب فوَقعت على أيدي القوات البريطانية والشرطة. وقد كان للحاج أمين الحسيني مفتي القدس دور أساسي سرّي في ثورة موسم النبي موسى وثورة البراق. أما القيادة السياسية الرسمية الفلسطينية فقد ظلت متمسكة بالأساليب السلمية، بل وسَعَت إلى تهدئة مشاعر الغضب واستيعابها. ومن المهم الإشارة إلى أن الثورات الثلاث قد اتخذت طابعاً إسلامياً أسهم في تأجيج المشاعر الوطنية وتفجيرها ضد المشروع الصهيوني.



الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٩-١٩٣٩:

كانت ثورة البراق سنة ١٩٢٩ فاتحة لعقد تصاعدت فيه المقاومة الجهادية العنيفة للمشروع الصهيوني وللإستعمار البريطاني على حدّ سواء، وقد وصلت ذروتها في الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩). فقد أخذت تتكسر خطورة المشروع اليهودي - الصهيوني خصوصاً إثر هجرة أكثر من ١٥٢ ألف يهودي خلال الفترة ١٩٣٠-١٩٣٥، مما ضاعف عدد اليهود الذين كان عددهم في منتصف سنة ١٩٢٩ حوالي ١٥٦ ألفاً، وكان الكثير من المهاجرين الجدد من ألمانيا، من رجال الأعمال وأصحاب الأموال والتجارة ومن العلماء المتخصصين. كما تمكن اليهود في الفترة نفسها (١٩٣٠-١٩٣٥) من الاستيلاء على ٢٢٩ ألف دونم من الأراضي الفلسطينية. وهرب اليهود كميات ضخمة من الأسلحة كُشفت حالتان منها في ١٥/٣/١٩٣٠، وفي ١٦/١٠/١٩٣٥.

وتميز النصف الأول من الثلاثينيات بازدياد النشاط السياسي والتفاعل الوطني مع الأحداث، وتوجيه العداء بشكل مباشر وواسع ضدّ السلطات البريطانية باعتبارها "أصل الداء، وأساس كل بلاء". وتشكلت في هذه الفترة الأحزاب الفلسطينية، وكان "حزب الاستقلال" أولها ظهوراً في آب/أغسطس ١٩٣٢، وأسهم بشكل كبير في توجيه العداء ضدّ بريطانيا، لكنه ضَعُف منذ منتصف ١٩٣٣. أما الحزب العربي الفلسطيني الذي ظهر في آذار/مارس ١٩٣٥ فقد أصبح الحزب الشعبي الأول، وحظي بدعم المفتي (الحاج أمين) وبدعم الجماهير^٧، ونشطت في الفترة نفسها جمعيات الشبان المسلمين، والحركات الكشفية. ونشأت وتطورت تنظيمات سرية عسكرية جهادية مثل حركة "الجهادية" بقيادة عز الدين القسام، و"منظمة الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني (والإشراف السريّ للحاج أمين)، كما ظهرت مجموعات ثورية أصغر دخلت في صدامات مبكرة مع السلطة مثل "الكف الأخضر".

لقد فَقَدَ الفلسطينيون في هذه الفترة أملهم في الحصول على حقوقهم بالوسائل السلمية والقانونية، وعلق الحاج أمين الحسيني على تلك المرحلة قائلاً: "كنا ما نزال حتى سنة ١٩٣٢ على شيء من الأمل، ولكنه زال مع الزمن، كل عذابنا... كل الأمانا كانت تُعدُّ بعناية، لم يكن أماننا غير الشهادة"^٨. وأشارت مذكرة لمدير قسم المخابرات في شرطة فلسطين إلى أن "الشعور المتزايد بالسخط ضدّ الانتداب البريطاني والإدارة أصبح سائداً وسط كل الطبقات...، وأن العرب، الذين أُمِلوا بأن بريطانيا سوف تحقق لهم العدل، قد أصيبوا باليأس"^٩.



وقد أسهم في تكريس القناعات المعادية لبريطانيا وانتشارها فشل مهمة الوفد العربي الفلسطيني إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني في ربيع ١٩٣٠. وعدم تنفيذ توصيات جون هوب سمبسون John Hope Simpson خبير الإسكان والأراضي، الذي كلفته الحكومة البريطانية بدراسة الوضع في فلسطين، والذي استنتج بعد دراسة دقيقة أنه لا توجد أراضٍ إضافية يمكن إعطاؤها للمهاجرين



• جون هوب سمبسون

اليهود، وأوصى بخفض الهجرة اليهودية أو وقفها^{١١}. وزاد من تفاقم الوضع نكوص الحكومة البريطانية عن تنفيذ توجهاتها التي أعلنتها في "الكتاب الأبيض" في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٠ الذي وعد بضبط الهجرة اليهودية، ثم إصدارها "الكتاب الأسود" في شباط/فبراير ١٩٣١ الذي أكد التزامات بريطانيا تجاه المشروع الصهيوني، ومسح عملياً ما جاء في الكتاب الأبيض^{١١}.

واستطاع أبناء فلسطين في تلك الفترة أن يجددوا البعد العربي والإسلامي لقضية فلسطين ويُنشّطوه. فنقلت التقارير في أيار/مايو ١٩٣١ وجود مخطط ثوري جهادي يستهدف إنقاذ البلاد العربية وخصوصاً فلسطين وسورية، وأن الأمير شكيب أرسلان (وهو إسلامي لبناني) كان زعيم هذه الحركة، ويشترك معه في المخطط الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الهندي المعروف. وكان على اتصال بزعماء الحركات العربية في الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر. لكن المخطط لم يُكتب له النجاح^{١٢}. وفي ٧-١٧/١٢/١٩٣١ انعقد في القدس المؤتمر الإسلامي العام برئاسة الحاج أمين الحسيني، وبحضور مندوبين عن ٢٢ بلداً، وتكرس فيه البعد الإسلامي لقضية فلسطين، التي أصبحت همّاً مركزياً للعالم الإسلامي، وحضره علماء وشخصيات إسلامية كبرى مثل الشيخ محمد رشيد رضا، والمفكر الهندي الشاعر "محمد إقبال"، والزعيم الهندي شوكت علي، والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، ورئيس وزراء إيران السابق ضياء الدين الطبطبائي، والزعيم السوري شكري القوتلي، ... وغيرهم. وصدرت العديد من القرارات العملية كإنشاء جامعة إسلامية، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي، وتشكيل لجان لفلسطين في مختلف البلدان...^{١٣}.





صورة للمندوبين الذين حضروا المؤتمر الإسلامي العام في القدس من نهاية (كاتون الأول) ١٩٣١ إلى بداية (كاتون الثاني) ١٩٣٢ للبحث في تطور الأوضاع في فلسطين، وهم حسب الأرقام: ١- مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ٢- الزعيم الفلسطيني موسى كاتظم باشا الحسيني ٣- محمد علي غلوبة باشا من مصر - خلفه مولانا شوكت علي، من كبار العلماء المسلمين في الهند معتمرا لباس رأس مميز بين مسلمي الهند ٤- محمد زيارة، مندوب إمام اليمن يحيى بن حميد الدين ٥- بشير السعدوي ٦- حمد باشا بن جازي، أمير قبائل الحويطات في الأردن وجزيرة العرب ٧- الشيخ نعمان الأعظمي من العراق ٨- الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، عميد جامعة الأزهر في مصر ٩- رؤوف باشه ١٠- الشيخ مصطفى الغلاييني من بيروت ١١- الشيخ عبد الوهاب التجار وخلفه دون رقم الوطني الفلسطيني إسعاف النشاشوبى ١٢- الشيخ إبراهيم اطفيش من الجزائر ١٣- محمد طارق ١٤- العلامة الإمام محمد رشيد رضا من طرابلس، لبنان ١٥- أبو الحسن ١٦- عبدالقهار مذكر من أندونيسيا ١٧- الشيخ محمد تقي ١٨- الشيخ سعيد الخطيب ١٩- الحاج مصطفى رجب من مصر ٢٠- حامد المليجي مندوب جريدة البلاغ من القاهرة.



• شوكت علي



• محمد إقبال



• محمد رشيد رضا



• شكري القوتلي



• ضياء الدين الطببائي



• عبد العزيز الشعالبي

لكن وقوع معظم بلدان العالم الإسلامي تحت الاستعمار، وإصرار البريطانيين على إفشال أي من المشاريع العملية أدى إلى تعطيل العمل بمعظم هذه القرارات. وتزايد دور علماء المسلمين الفلسطينيين بانعقاد مؤتمرهم الأول في ١٩٣٥/١/٢٥، وإصدارهم فتوى بتحريم بيع الأرض لليهود، وتكفير من يرتكب ذلك، ثم قيامهم بحملة توعية كبرى في فلسطين^{١٤}.

ومن جهة أخرى، فإن المقاومة الجهادية تمثلت في البداية في منظمة الكف الأخضر، التي ظهرت إثر ثورة البراق في شمال فلسطين بزعامة أحمد طافش، وقامت بعمليات ضد اليهود والبريطانيين، لكن الحملة البريطانية المكثفة ضدها أدت إلى القضاء عليها في شباط/فبراير ١٩٣٠، والقبض على زعيمها^{١٥}.



• الاحتلال يقمع المظاهرات في أحداث

تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٣

وفي تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٣ صعدت القيادة السياسية الفلسطينية معارضتها، وأقامت مظاهرتين كبيرتين في القدس في ١٠/١٣، وفي يافا في ١٠/٢٧، شارك فيها الزعماء بأنفسهم، وانطلقت المظاهرة الأولى من المسجد الأقصى، أما الثانية فانطلقت بعد صلاة الجمعة من يافا، وأضربت فلسطين في هذين اليومين، وحاولت السلطات منع المظاهرات بالقوة، مما أدى إلى مقتل ٣٥ وجرح ٢٥٥ عربياً. وقد اتسعت المظاهرات وزادت عنفاً في حيفا والقدس ونابلس وبئر السبع واللد وغيرها؛ مما أدى لسقوط المزيد من الضحايا، وأضربت فلسطين مدة سبعة أيام. واعتقلت السلطات البريطانية

١٢ زعيماً فلسطينياً، بينهم ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية، وأصيب موسى كاظم الحسيني في أثناء مظاهرة يافا بكدمات أغمي عليه على إثرها، ونُكر أنه توفي في آذار/ مارس ١٩٣٤ متأثراً بهذه الإصابة، وهو في الـ ٨١ من عمره^{١٦}.



أما حركة "الجهادية" فقد أسسها الشيخ عز الدين القسام، وتعود جذورها إلى سنة ١٩٢٥. وهي حركة سرية جهادية، اتخذت الإسلام منهجاً، وكان شعارها "هذا جهاد، نصر أو استشهاد" وانتشرت في شمال فلسطين، خصوصاً بين العمال والفلاحين، وأمكن لها تنظيم ٢٠٠ رجل، بالإضافة إلى ٨٠٠ من الأنصار. وقامت سرّاً بالمشاركة الجهادية في ثورة البراق، ثم نفذت بعض العمليات خلال النصف الأول من الثلاثينيات، لكنها أعلنت عن نفسها ونزلت



• الشيخ عز الدين القسام

إلى الميدان في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٥، واستشهد الشيخ القسام واثنان من رفاقه في أول مواجهة مع الشرطة في معركة أحراش يعبد في ١٩٣٥/١١/٢٠. ولم تكن هذه نهاية الحركة، فقد تولى القيادة الشيخ فرحان السعدي. وكان لها دور رائد عظيم في الثورة الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩)^{١٧}.



• عبد القادر الحسيني

أما منظمة الجهاد المقدس فقد اصطبغت بصيغة إسلامية وطنية، ولقيت رعاية الحاج أمين، وتركز تنظيمها في القدس، بقيادة عبد القادر الحسيني، ووصل عدد أفرادها سنة ١٩٣٥ إلى ٤٠٠ عضو^{١٨}. وشاركت في الثورة الكبرى في قيادة العمل في مناطق القدس والخليل.

ثالثاً: الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ :

كانت الثورة الكبرى من أعظم الثورات في تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر. وقد تفجرت في ١٥/٤/١٩٣٦ على يد مجموعة قسامية بقيادة الشيخ فرحان السعدي، قامت بقتل اثنين من اليهود. ثم تفاعلت الأحداث، وحصلت ردود فعل غاضبة متبادلة بين العرب واليهود، وأعلن أبناء فلسطين الإضراب العام في ٢٠ نيسان/أبريل، وتمّ توحيد

الأحزاب العربية، وتشكيل اللجنة العربية العليا (التي تولى رئاستها الحاج أمين الحسيني بنفسه) في ٢٥ نيسان/ أبريل، وقامت اللجنة بالإعلان عن الإصرار على الاستمرار في الإضراب حتى تحقيق المطالب الفلسطينية في إنشاء حكومة فلسطينية مسؤولة أمام برلمان منتخب،



• الثورة الفلسطينية ١٩٣٦-١٩٣٩



• اللجنة العربية العليا

ووقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي لليهود. واستمر الإضراب ١٧٨ يوماً (حوالي ستة أشهر) ليكون أطول إضراب في التاريخ يقوم به شعب بأكمله. ورافق الإضراب ثورة عارمة عمّت كل فلسطين، ولم تتوقف المرحلة الأولى من الثورة إلا في ١٢/١٠/١٩٣٦، بناء على نداء ملوك وأمراء العرب، وتهيئة

لقدم لجنة تحقيق ملكية بريطانية (لجنة بيل Peel Commission) لتدرس الوضع وتقديم توصياتها. وقد صدرت توصيات هذه اللجنة في مطلع تموز/ يوليو ١٩٣٧، واقتُرحت تقسيم فلسطين بين العرب واليهود. وقد أدى ذلك إلى تأجيج مشاعر الثورة من جديد، وكانت علامة بدئها الفاصلة اغتيال القساميين للحاكم البريطاني اللواء الجليل لويس أندروز Louis Andrews في ٢٦/٩/١٩٣٧. وقامت السلطات البريطانية بإجراءات قمعية هائلة، وحلّت المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة العربية العليا واللجان القومية، وحاولت اعتقال الحاج أمين الذي تمكن من الهرب إلى لبنان في منتصف تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٧، حيث تولى قيادة الثورة من هناك، لكنها نجحت في اعتقال أربعة من أعضاء اللجنة العربية العليا، وأبعدتهم إلى جزر سيشل Seychelles.



مشروع لجنة بيل ١٩٣٧



مترجم عن الأصل، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس.

وقد وصلت الثورة إلى قمته في صيف ١٩٣٨، ونجح الثوار في السيطرة على الريف الفلسطيني وقُراه، وتمكنوا من احتلال عدد من المدن لفترات محدودة، وانهارت السلطة المدنية البريطانية. ولو أن الأمر اقتصر فقط على مواجهة بين شعب محتل وسلطة مستعمرة، لربما أدى الأمر إلى انسحابها وإعطاء الشعب حقوقه. ولكن وجود الطرف اليهودي - الصهيوني ونفوذه، وطبيعة مشروعه، كانت تضغط دائماً لمزيد من المكابرة والعناد عند البريطانيين. وقد اضطرت السلطات البريطانية إلى إرسال تعزيزات عسكرية ضخمة، يقودها أفضل قادة بريطانيا العسكريين أمثال ديل Dill، وويفل Wavell، وهيننج Haining، ومونتجمري Montgomery. وقامت بإعادة احتلال فلسطين قرية قرية، مستخدمة كل وسائل التنكيل والدمار، وأحدث ما توصلت إليه أكبر قوة عظمى في ذلك الزمان. واستشهد كثير من قادة الثورة أمثال فرحان السعدي، ومحمد الصالح الحمد، وعبد الرحيم الحاج محمد، ويوسف أبو درة^{١٩}. ولذلك فقد عانت الثورة من حالة من التراجع والضعف



• يوسف أبو درة



• محمد الصالح الحمد



• فرحان السعدي

خصوصاً منذ نيسان/ أبريل ١٩٣٩. غير أن جذوة الثورة استمرت بالانطفاء التدريجي حتى أواخر سنة ١٩٣٩. وحسب الإحصائيات البريطانية فإن مجموع العمليات التي قام بها الثوار خلال فترة ١٩٣٦-١٩٣٩ كانت كما يلي^{٢٠}:

السنة	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
مجموع العمليات	٤٠٧٦	٥٩٨	٤٩٦٩	٩٥٢

ذكرت المصادر البريطانية أنه قُتل في المرحلة الأولى من الثورة من اليهود ٨٠ وجرح ٢٨٨، وقتل من الجيش والشرطة البريطانية ٣٥ وجرح ١٦٤، فيما قتل من العرب ١٩٣ وجرح ٨٠٣. وحسب محمد عزة دروزة فإن عدد قتلى العرب زاد عن ٧٥٠ وعدد الجرحى زاد عن ١٥٠٠. أما في المرحلة الثانية فحسب دروزة فإن إصابات اليهود كانت نحو ١٥٠٠، ربعهم إن لم يكن ثلثهم من القتلى، وهو قريب من الإحصائيات الرسمية اليهودية، وقَدَّر الإصابات في الجيش والشرطة البريطانية بـ ١٨٠٠ قتيل وجريح، بينما قَدَّر قتلى العرب بثلاثة آلاف وجرحاهم بسبعة آلاف^{٢١}.



• عبد الرحيم الحاج محمد يقود فريقاً من المجاهدين؛
وفي الزاوية العليا صورة شخصية له

• تفجير قطار في أحد عمليات
المجاهدين في ثورة
١٩٣٦-١٩٣٩



ومن جهة أخرى، حاولت بريطانيا إيجاد مخرج سياسي، بينما كانت تقوم بسحق الثورة، فقامت بإلغاء مشروع تقسيم فلسطين، وأفرجت عن معتقلي سيشل، ودعت إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن، بحيث تحضره وفود تمثل الفلسطينيين واليهود وعدداً من البلاد العربية. وقد فشل المؤتمر الذي انعقد في شباط/فبراير ١٩٣٩، في الوصول إلى نتيجة محددة. وهذا مهد الطريق أمام البريطانيين ليعلنوا وحدهم الحل الذي يرتأونه، والذين قالوا إنهم سينفذونه بغض النظر عن رضى الطرفين. فأصدرت الحكومة البريطانية "الكتاب الأبيض" في أيار/مايو ١٩٣٩، الذي شكّل إلى حدّ ما نصراً سياسياً للفلسطينيين، فقد أقرت بريطانيا بشكل حاسم أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأن ما تريده هو دولة فلسطينية مستقلة، يقتسم فيها العرب واليهود السلطة الحكومية. وأعلنت بريطانيا سعيها إلى إنشاء دولة فلسطينية خلال عشر سنوات، وأن الهجرة اليهودية في السنوات الخمس القادمة لن تزيد عن ٧٥ ألفاً، وبعد ذلك تُمنع إلا بإذن من العرب، وقررت حظر بيع الأراضي في بعض مناطق فلسطين، بينما يكون مقيداً في مناطق أخرى. ولم توافق معظم القيادة الفلسطينية على المشروع البريطاني؛ لشكّها أساساً في الوعود والنوايا البريطانية، ولأنه ربط استقلال فلسطين بموافقة اليهود وتعاونهم، كما أنه لم يعد بإصدار عفو عام عن الثوار، أو المصالحة مع زعيم فلسطين الحاج أمين. وفوق ذلك فإن الفلسطينيين رأوا أنه ليس من الحكمة الموافقة المبكرة على المشروع الذي يتضمن بعض التنازلات، وما دامت بريطانيا مصرة على تنفيذه على أي حال، فإن الزمن كفيلاً يكشف مدى جديتها. كما عارض اليهود بقوة وعنف المشروع البريطاني^{٢٢}.

رابعاً: التطورات السياسية ١٩٣٩-١٩٤٧:

وخلال الفترة ١٩٣٩-١٩٤٥ وقعت الحرب العالمية الثانية، ودخل الفلسطينيون تلك الفترة وقد أنهكت قواهم، وتشتت قيادتهم السياسية نتيجة الثورة، واضطر الحاج أمين أن يهرب إلى العراق في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٩، ثم هرب إلى إيران وتركيا ثم إلى ألمانيا التي وصلها في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤١، بعد أن سقط الحكم الوطني المعادي لبريطانيا في العراق، الذي كان للحاج أمين دور رئيسي في إقامته. وهناك لم يجد بُداً من

التعاون مع الألمان أعداء الإنجليز، في سبيل نيل العرب لحقوقهم، وتمّ إعداد مسودة تصريح تضمن تقديم دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) كل مساعدة ممكنة للبلدان العربية التي تحتلها وتسيطر عليها بريطانيا، والاعتراف باستقلالها، والمساعدة في القضاء على فكرة الوطن القومي اليهودي. غير أن الألمان أصرُّوا على عدم إصدار التصريح إلا بعد وصول القوات الألمانية إلى منطقة القوقاز.

في لقاء سري مع السفير السوفييتي

في لندن إيفان مايسكي Ivan Maisky

في شباط/ فبراير ١٩٤١، عرض رئيس

الحركة الصهيونية حاييم وايزمان

Chaim Weizmann تهجير مليون

فلسطيني من أرضهم من أجل إحضار

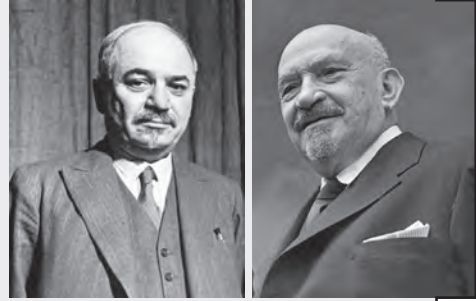
٤-٥ ملايين يهودي من شرق أوروبا

مكانهم، وأرسل السفير تقريراً بذلك،

حفظته الخارجية الروسية في أرشيفها، إلى أن كشفته جريدة يديعوت أحرونوت

الإسرائيلية Yedioth Ahronoth في أيار/ مايو ١٩٩٣، ونشرته جريدة القدس،

وكذلك الرأي الأردنية في ٢٩/٥/١٩٩٣.



إيفان مايسكي

حاييم وايزمان

وعلى أي حال، فإن الحاج أمين استفاد عملياً من وجوده هناك في السعي لتكوين جيش عربي مدرَّب على يد الألمان من الجنسيات العربية، وقد تدرَّب بالفعل مئات الشبان العرب ضمن هذا الجيش الذي أعلن رسمياً عن إنشائه في ١١/٢/١٩٤٣، ومدّه الألمان بالكثير من الأسلحة الخفيفة والذخائر، وخبّي في ليبيا نحو ٣٠ ألف قطعة سلاح لاستخدامها مستقبلاً^{٢٣}. لكن انتصار البريطانيين وحلفائهم في الحرب، وضع الفلسطينيين وقيادتهم في حال أكثر صعوبة. وقبض الفرنسيون على الحاج أمين، لكنه ما لبث أن استطاع الهرب في حزيران/ يونيو ١٩٤٦، ووصل فجأة إلى مصر، وعمّت فلسطين الأفراح "فأقيمت الزينات في طول البلاد وعرضها، وتألّفت المواكب، وشمل الناس سرور عظيم"^{٢٤} مما دلّ على الشعبية الهائلة التي ما زال المفتي يتمتع بها.



وتألفت الهيئة العربية العليا لفلسطين في ١٢/٦/١٩٤٦ بقرار من جامعة الدول العربية، وعندما عاد الحاج أمين تولى رئاستها، وأصبحت الهيئة الرسمية الممثلة للفلسطينيين. لكن مشاكل الحاج أمين مع حكومتي الأردن والعراق أضعفت قدرته على العمل والمناورة، هذا فضلاً عن وجوده في مصر التي كانت لا تزال تحت بعض أشكال النفوذ البريطاني.

ومن جهة أخرى، استغلت الحركة الصهيونية ما حدث لليهود خلال الحرب العالمية الثانية استغلالاً كبيراً، وسعوا إلى المبالغة وتهويل ما حدث لهم في ألمانيا وأوروبا الشرقية، كسباً للعواطف والأنصار، مؤكداً أنه لا يوجد مكان آمن لحمايتهم، وأنه لا بديل لنجاتهم سوى إقامة وطنهم القومي في فلسطين. وحوّلت الحركة الصهيونية مركز تركيزها إلى القوة العظمى الصاعدة الولايات المتحدة، خصوصاً منذ مؤتمر بيلتمور Biltmore سنة ١٩٤٢، وحصلوا على دعم الحزبين الجمهوري والديموقراطي بإلغاء الكتاب البريطاني الأبيض في أيار/ مايو ١٩٣٩. وعندما صعد هاري ترومان Harry Truman لسدة



• هاري ترومان



• كليمنت أتلي

الحكم أظهر عطفاً أكبر على الصهيونية، وطلب في ٣١/٨/١٩٤٥ من كليمنت أتلي Clement Attlee رئيس وزراء بريطانيا إدخال ١٠٠ ألف يهودي إلى فلسطين. وسعى اليهود إلى تجهيز أنفسهم عسكرياً، وشارك ٢٦ ألفاً من يهود فلسطين في الوحدات اليهودية في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية، وكان معظمهم أعضاء في منظمة الهاغاناه، حيث استفادوا خبرة عسكرية، جعلتهم نواة الدولة اليهودية المنتظرة. وهاجر إلى فلسطين خلال الفترة

١٩٣٩-١٩٤٥ نحو ٩٢ ألف يهودي، كما تمكن ٦١ ألفاً آخرين من الهجرة خلال الفترة ١٩٤٦-١٩٤٨، وحاز اليهود خلال الفترة ١٩٣٩-١٩٤٧ على نحو ٢٧٠ ألف دونم من الأراضي، وأنشأوا ٧٣ مستعمرة جديدة خلال الفترة ١٩٤٠-١٩٤٨. وفي جو من الضغط اليهودي - الأمريكي، والضعف العربي، قام البريطانيون بالتخلي رسمياً عن

الكتاب الأبيض في البيان الذي أصدره وزير الخارجية ارنست بيفن Ernest Bevin في ١٤/١١/١٩٤٥. ودعا البيان أيضاً إلى تشكيل لجنة إنجلو-أمريكية للتحقيق في قضية فلسطين، وتقديم توصياتها، مما أدخل الأمريكان بشكل مباشر في القضية، وقد أوصت اللجنة سنة ١٩٤٦ بهجرة ١٠٠ ألف يهودي، وبحرية انتقال الأراضي وبيعها لليهود^{٢٥}.



• ارنست بيفن

واتخذت قضية فلسطين بُعداً دولياً عندما طلبت بريطانيا من الأمم المتحدة في ١٩٤٧/٤/٢ إدراج القضية ضمن جدول أعمالها. ثم تشكلت لجنة تحقيق دولية خاصة بفلسطين (انسكوب UNSCOP) لدراسة الوضع وتقديم تقرير عنه. وقد انتهت من وضع تقريرها في ١٩٤٧/٨/٣١، ونصّت توصياتها المتحيزة على:

- إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.
- تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين عربية ويهودية، مع وضع القدس تحت وصاية دولية^{٢٦}.

وفي مؤتمر صوفر في ١٩٤٧/٩/٦، وعاليه في ٧-١٥/١٠/١٩٤٧، قررت الدول العربية مقاومة اقتراحات اللجنة الدولية، وتقديم المعونة من رجال وسلاح لأهل فلسطين، واتخاذ "احتياطات عسكرية"، وتنظيم العمل العسكري.

"إن مطالبة الصهاينة بدولة يهودية كان يتعارض بشكل تام مع كل مبادئ القانون الدولي والتاريخ الحديث".

< ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٥٦-١٩٦٨ في مقاله:

Nahum Goldman, "The Psychology of Middle East Peace," *Foreign Affairs* magazine, October 1975, p. 114.





وفي ٢٩/١١/١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها المشؤوم رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وحاز أغلبية الثلثين بضغط أمريكي ودعم روسي قوي. وأعطى القرار ٥٤,٧% من أرض فلسطين للدولة اليهودية (١٤٤٠٠ كم^٢)، و٤٤,٨% للدولة العربية (١١٧٨٠ كم^٢) ونحو ٠,٥% لمنطقة القدس.

ولم تكن القوى الكبرى تملك أغلبية الثلثين، وكاد في يوم ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر أن يحدث تصويت، ولو تم لسقط مشروع التقسيم، لكن رئيس الجمعية مندوب البرازيل أجّل الجلسة. وقام اليهود والأمريكان بحملة محمومة نجحت بمختلف الوسائل في زيادة الأصوات المؤيدة، فقد استلمت زوجات ممثلي أمريكا

اللاتينية هدايا كثيرة معظمها ألماس ومعاطف فرو ثمينة. وأمّرت حكومة هايتي، التي كانت قد صوتت ضدّ التقسيم، مندوبها بالتصويت معه، بعد أن وعدتها أمريكا بالمساعدة الاقتصادية. واستخدم رجل الأعمال الأمريكي روبرت ناثن Robert Nathan نفوذه الاقتصادي لشراء صوت جواتيمالا، وهدّدت شركة فايرستون ليبيريا اقتصادياً إن لم تتحول من الامتناع إلى التأييد، وتعرضت الفلبين لضغوط شديدة، وتدخل رئيس جمهوريتها، فأمر مندوبه بالموافقة على القرار. ووفق هذه الألعاب القذرة تمّ تقرير مصير أحد أقدس وأطهر البقع في الأرض. تُرى ما هو المنطق في أن يتقرر مصير شعب مسلم وأرض مقدسة بناء على أن زوجة فلان من أمريكا اللاتينية حصلت على طقم ألماس

أو معطف فرو!! أو لأن ليبيريا تخشى نفوذ شركة أمريكية!! وفي يوم ١٩٤٧/١١/٢٩ فاز قرار التقسيم بأغلبية ٣٣ مقابل ١٣ وامتناع عشرة.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن قرارات الجمعية العامة ليست قرارات ملزمة، حتى ضمن موثيق الأمم المتحدة نفسها. والقرار نفسه مخالف للأساس الذي قامت عليه الأمم المتحدة من حقوق الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها. ثم إن شعب فلسطين المعنيّ أساساً بالأمر لم تتم استشارته ولا استفتاؤه. هذا، فضلاً عن الظلم الفاضح الذي تضمنته تفصيلات القرار من إعطاء نحو ٥٥% من أرض فلسطين لأقلية يهودية دخيلة مهاجرة تمثل ٣١,٧% من السكان ولا تملك أكثر من ٦% من الأرض.

تطور أعداد السكان في فلسطين تحت الاحتلال البريطاني

السنة	العرب		اليهود	
	العدد	النسبة (%)	العدد	النسبة (%)
١٩١٨	٦٠٠٠٠٠	٩١,٦	٥٥٠٠٠	٨,٤
١٩٤٨	١٣٩٠٠٠٠	٦٨,٣	٦٤٦٠٠٠	٣١,٧

تطور نسبة ملكية الأراضي في فلسطين تحت الاحتلال البريطاني

السنة	العرب (%)	اليهود (%)
١٩١٨	٩٨	٢
١٩٤٨	٩٤	٦



”أريد عدداً قليلاً من اليهود الأمريكيين المشهورين، خصوصاً أولئك الذين أحترمهم. والذين علموني كل شيء، أريدهم أن يقفوا ويقولوا لنترك الكذب على العالم وعلى أنفسنا، لقد سرقنا فلسطين، لقد سرقناها. حتى لو أعطينا الفلسطينيين حكماً ذاتياً، أو تقرير مصير، أو الضفة الغربية، أو دولة فلسطينية، فإننا لا زلنا نسرق معظم أرضهم، فلنبدأ على الأقل بقول الحقيقة“.

< الكاتب اليهودي رون ديفيد Ron David، كتاب العرب وإسرائيل للمبتدئين *Arabs & Israel for Beginners*، ص ٢١٠.



خامساً: حرب ١٩٤٨ وانعكاساتها:

وقد اندلعت الحرب فور صدور قرار التقسيم، وتحمل أبناء فلسطين أعباءها في الأشهر الستة الأولى، بمساعدة عدد محدود من المتطوعين، إذ رفضت الدول العربية



إرسال جيوشها إلى أن تخرج بريطانيا في ١٥/٥/١٩٤٨. وشكّل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، كما شكّلت الجامعة العربية "جيش الإنقاذ" من متطوعي البلاد العربية والإسلامية. وقد عانى أبناء فلسطين من هزلة الدعم العربي بالسلاح والعتاد لدرجة مأساوية، ومع ذلك تمكنوا من إثارة قلق اليهود ورعبهم فترة طويلة، ووصل الأمر بالولايات المتحدة للتفكير الجدي بالتراجع عن فكرة التقسيم في آذار/مارس ١٩٤٨. وحتى دخول الجيوش العربية تمكن الفلسطينيون من المحافظة على نحو ٨٢% من أرض فلسطين بالرغم من النقص المريع في كل شيء قياساً باليهود، وبالرغم من تعاون البريطانيين، في أثناء انسحابهم، مع اليهود.

وقد مثل دخول الجيوش العربية السبعة قصة مأساة أخرى، فلم يزد عدد مقاتليها مجتمعة عن ٢٤ ألفاً مقابل أكثر من ٧٠ ألف يهودي، وعانت من ضعف التنسيق بينها، وجهلها بالأرض، ومن أسلحتها القديمة والفاصلة، وشغل بعضها أنفسهم بنزع أسلحة الفلسطينيين بدلاً من تسليحهم، كما عانى بعضها من سوء قياداته، فضلاً عن أن أحد هذه الجيوش كان بين ضباطه الخمسين الكبار ٤٥ بريطانياً. فضلاً عن الاستقلال

الحديث لبعض الدول العربية، وقلّة خبرة جيوشها، فإنّ بعض هذه الدول كان لا يزال عملياً تحت النفوذ الاستعماري البريطاني^{٢٧}. والجدول التالي يوضح ميزان القوة العسكرية العديدة بين الطرفين العربي والصهيوني:

القوات اليهودية (بالألف)	القوات العربية (بالألف)	
٦٠	١٢	مرحلة ما قبل دخول الجيوش العربية (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧ - أيار/ مايو ١٩٤٨)
٦٧	٢١	المرحلة الأولى من القتال (عند دخول الجيوش العربية)
١٠٦	٤٠	المرحلة الثانية من القتال (عند نهايات الحرب)

لقد كانت حماسة أبناء فلسطين وأبناء الشعوب العربية والإسلامية هائلة نحو الجهاد والبذل والتضحية، ولكن القيادات السياسية والجيوش كانت عامل إحباط وفشل كبير. وعلى سبيل المثال فقد شارك الإخوان المسلمون في مصر بجهود كبيرة لإنقاذ فلسطين، وتطوع الشهيد حسن البنا في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٧ بدماء عشرة آلاف من الإخوان كدفعة أولى للمعركة. لكن الحكومة المصرية ضيّقت الخناق عليهم، ومنعتهم من السفر إلا بشكل محدود جداً. ومع ذلك فإنّ المئات الذين استطاعوا المشاركة في المعارك، وقاموا فيها بأدوار بطولية، كان مصيرهم الاعتقال والسجون قبل عودتهم إلى مصر، وتمّ حلّ جماعة الإخوان المسلمين قبل أن تنتهي المعارك في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٨، وقامت المخابرات المصرية باغتيال حسن البنا نفسه في ١١/٢/١٩٤٩، قبيل توقيعها اتفاقية الهدنة مع الكيان الصهيوني. كما شارك الإخوان المسلمون من



• الشيخ حسن البنا



الأردن وسورية والعراق ليمثلوا صورة وضيئة للاندفاع الشعبي للتضحية والجهاد. وهذا لا يقلل من قيمة البطولات التي قدمها الآخرون، أمثال رجال الجهاد المقدس. هذا بالإضافة إلى مشاركة الكثير من العرب في جيش الإنقاذ، بل ومشاركة نحو ٢٥٠ بوسنياً في هذه الحرب دفاعاً عن فلسطين. وكان من المشاهد التي آلمت أبناء فلسطين أن تقوم بعض الجيوش العربية بنزع أسلحة الفلسطينيين بدلاً من تسليحهم!! كما كان من المشاهد التي آلمت الجندي العربي أن يسلم أسلحة قديمة أو فاسدة تنفجر أحياناً في وجهه عندما يستخدمها!!.

أعلنت الحركة الصهيونية "دولة إسرائيل" في مساء ١٤/٥/١٩٤٨، وتمكنت مع نهاية الحرب من هزيمة الجيوش العربية، ومن الاستيلاء على نحو ٧٧% من أرض فلسطين. أما من الناحية الفلسطينية، فقد كانت الهيئة العربية العليا قد قررت إنشاء حكومة فلسطينية لملء الفراغ الناتج عن انسحاب بريطانيا من فلسطين، وسعت لإقناع الحكومات العربية بذلك خلال أشهر آذار/ مارس، ونيسان/ أبريل والنصف الأول من أيار/ مايو ١٩٤٨، ولكن دون جدوى. وفي ٢٣/٩/١٩٤٨ قامت



• ديفيد بن جوريون يقرأ إعلان قيام "دولة إسرائيل"

الهيئة بإعلان "حكومة عموم فلسطين" في غزة برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي. وقد أقرت الحكومات العربية (ما عدا الأردن) ذلك واعترفت بالحكومة. وتأكيداً لشرعيتها، قامت حكومة عموم فلسطين والهيئة العربية العليا بالدعوة إلى مجلس وطني فلسطيني في غزة في ١٠/١/١٩٤٨ برئاسة الحاج أمين. وقد أعلن المؤتمر استقلال فلسطين، وإقامة دولة حرة ديموقراطية ذات سيادة، بحدودها الدولية المتعارف عليها في أثناء الاحتلال البريطاني. ومنح المجلس الثقة لحكومة عموم فلسطين المكونة من عشرة وزراء برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي^{٢٨}.



• أحمد حلمي عبد الباقي رئيس حكومة عموم فلسطين

وعندما حاولت حكومة عموم فلسطين ممارسة صلاحياتها في قطاع غزة، تدخلت السلطات المصرية، فنقلت الحاج أمين الحسيني بالقوة إلى القاهرة، وأجبرت عدداً من أعضاء المجلس الوطني على مغادرة غزة إلى القاهرة. ثم ما لبثت أن أكرهت رئيس وأعضاء حكومة عموم فلسطين على الانتقال إلى مصر. ورفضت الحكومات العربية الاعتراف بالجوازات التي أصدرتها حكومة عموم فلسطين، كما تمّ حلّ وإنهاء قوات الجهاد المقدس التابعة للهيئة العربية العليا، وقامت السلطات المصرية بتعيين حاكم إداري على "المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية"، أي قطاع غزة^{٢٩}.

وكان من النتائج المباشرة لحرب ١٩٤٨ قيام العصابات اليهودية - الصهيونية بتشريد حوالي ٥٨% من الشعب الفلسطيني من أرضهم (شُرِدَ بالقوة حوالي ٨٠٠ ألف من أصل مليون و٣٩٠ ألفاً) إلى خارج الأرض التي أقام اليهود عليها كيانهم، بينما شُرِدُوا ٣٠ ألفاً آخرين إلى مناطق أخرى في داخل الأرض المحتلة نفسها. ودمّر الصهاينة ٤٧٨ قرية من أصل ٥٨٥ قرية كانت قائمة قبل الحرب، وارتكبوا ٣٤ مجزرة خلال حرب ١٩٤٨ بمدنيين فلسطينيين في أثناء عملية التهجير، وكان من أشهرها مذبحة دير ياسين في ٩/٤/١٩٤٨ التي اعترف الصهاينة أنفسهم بقتلهم وذبحهم لـ ٢٥٤ رجلاً وامرأة وطفلاً^{٣٠}.





• تهجير الفلسطينيين سنة ١٩٤٨

لقد مزقت حرب ١٩٤٨ النسيج الاجتماعي والاقتصادي للشعب الفلسطيني، الذي وجد نفسه مشرداً في العراق، بعد أن استقر في بلاده طوال أربع آلاف وخمسمائة سنة ماضية. وكان على هذا الشعب المسلم أن يُذبح ويُدمر ليدفع ثمن حماقات الأوروبيين تجاه اليهود، وكان عليه أن يُطرد تنفيذاً لرغبات قوى الاستكبار الدولية المتعاطفة مع الحركة الصهيونية، ولم يكن الصهاينة الذين بنوا كياناتهم على بحر من دماء الفلسطينيين وآلامهم ومعاناتهم ليشعروا بالإثم أو وخز

الضمير، وكان أولى بهم أن يستشعروا معاناة الآخرين، بسبب ما يدعونه من الظلم الذي حاق باليهود، والذي أقاموا الدنيا ولم يقعدوها بسببه، ولم يكونوا قد ضمدوا جراحهم بعد من مذابح الألمان، ومن "لاسامية" الروس. ويعترف موشيه ديان Moshe Dayan الذي تولى مناصب رئاسة أركان الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وكان عالماً بالآثار، أنه "ليست هناك قرية يهودية واحدة في هذه البلاد لم يتم بناؤها فوق موقع لقرية عربية"^{٣١}. إنه الإجرام المنظم مع سبق الإصرار والترصد، ولم يشفع

للكيان الصهيوني أن الأمم المتحدة اتخذت أكثر من ١٢٠ قراراً حتى الآن بعودة اللاجئين إلى أرضهم، والذي وصل عددهم إلى نحو ستة ملايين و٢٥٠ ألفاً من أبناء فلسطين المحتلة ١٩٤٨، في سنة ٢٠١١، فضلاً عن أكثر من مليون آخرين من أبناء الضفة والقطاع محرومون من العودة إليهما.

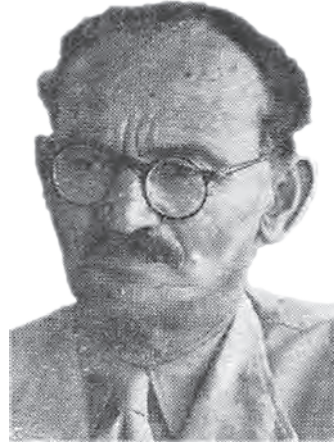


• مذبحه دير ياسين



• تهجير الفلسطينيين سنة ١٩٤٨

”يجب أن يكون واضحاً فيما بيننا أنه لا مكان في هذا البلد لشعبين. فبعد أن يتم نقل العرب، ستكون البلد واسعة بما يكفي لنا. إن الحل الوحيد هو أن تكون أرض إسرائيل، أو على الأقل الجزء الغربي منها [يعني فلسطين] دون عرب... ليس هناك حلّ آخر.



• يوسف ويتز

إن الفكرة الصهيونية جاءت جواباً للمشكلة اليهودية في أرض إسرائيل؛ إن التفريغ الكامل للبلد من كل غير اليهود وتسليمها للشعب اليهودي هو الحل“.

< يوسف ويتز Yosef Weitz مدير قسم الاستيطان (الأرض) في الصندوق القومي اليهودي، حسبما كتب في مذكراته في ١٩٤٠/١٢/٢٠ و ١٩٤١/٣/٢٠، والمحفوظة في الأرشيف الصهيوني المركزي (CZA) تحت رقم A246/7. نقلاً عن:

Nur Masalha, *The Expulsion of the Palestinians* (USA: Institute for Palestine Studies, 1993), pp. 131-132.



هوامش الفصل الثاني

- ^١ أميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٢)، ص ٢٨-٣٠.
^٢ كان عدد العرب نحو ٦١٠ آلاف واليهود نحو ٥٠-٥٥ ألفاً.
^٣ لمزيد من التفصيل حول تطور المشروع الصهيوني، انظر مثلاً: محمد سلامة النحال، سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، ط ٢ (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١)؛ وحرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨ (الرواية الإسرائيلية الرسمية) ترجمة أحمد خليفة (قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤)، ص ١٨، ٢٦؛ وصالح أبو يصير، مرجع سابق، ص ٤٦٥-٤٨٥؛ ومحمد عبد الرؤوف سليم، نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين: منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل ١٩٢٢-١٩٤٨ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢).
^٤ حول ما سبق، انظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص ١٠٤-١٠٥، و١٣٤-١٩٨.
^٥ حول هذه الثورات الثلاث، انظر: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧-١٩٤٨ (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٨)، ص ١٦٥-١٩١.
^٦ انظر: تقرير بيل، ص ٢٦٦؛ وانظر أيضاً:
 Palestine Government, *A Survey of Palestine*, prepared in Dec. 1945 & Jan. 1946 (Jerusalem: Government Printer, 1946), vol. 1, p. 141, 185, 224.
^٧ انظر: بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١)، ص ٣٠١-٣١٤؛ وكامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩ (طرابلس (ليبيا): المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٢)، ص ٥١٧-٥٢١.
^٨ زهير المارديني، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني (بيروت: دن، ١٩٨٠)، ص ٧٧.
^٩ Appreciation of Arab Feeling as Affecting Palestine, Memorandum by H.R. Rice Submitted to the Chief Secretary, Government of Palestine, 8/9/1933, Secret, Colonial Office (C.O.) 733/257/11.
^{١٠} *Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development*, by Sir J.H. Simpson, 1930, Cmd. 3686 (London: His Majesty Stationary Office, 1930), pp. 141-153.
^{١١} اشتهر الكتاب الأبيض باسم كتاب باسفيلد الأبيض Passfield White Paper. أما الكتاب الأسود فهو رسالة رئيس الوزراء البريطاني ماكدونالد R. MacDonald إلى حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وقرأها في مجلس العموم البريطاني في ٣/٢/١٩٣١.
^{١٢} عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص ٢٢٩.
^{١٣} انظر: بيان الحوت، مرجع سابق، ص ٢١٦، و٢٤٦-٢٤٧، و٨٧٢-٨٧٣.
^{١٤} المرجع نفسه، ص ٢٩٤-٢٩٥؛ ووثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٨١-١٩٣٩: من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان الحوت، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤)، ص ٣٨١-٣٩١.
^{١٥} انظر: محسن محمد صالح، القوات العسكرية والشرطة في فلسطين ١٩١٧-١٩٣٩ (عمّان: دار النفائس، ١٩٩٦)، ص ٤٠٥-٤٠٨.
^{١٦} المرجع نفسه، ص ٤٠٨-٤١٨.
^{١٧} انظر بالتفصيل حول هذه الحركة في: محسن صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص ٢٢٩-٣٢٧.
^{١٨} انظر: أميل الغوري، مرجع سابق، ص ٢٣٢-٢٣٥.



- ^{١٩} حول الثورة الكبرى، انظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص ٢٦٠-٣٠٠؛ ومحسن صالح، القوات العسكرية والشرطة في فلسطين، ص ٤٣٧-٦١٨.
- ^{٢٠} انظر: يوسف رجب الرضيي، ثورة ١٩٣٦ في فلسطين: دراسة عسكرية (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٢)، ص ٦١-٦٢، و٦٩، و٧٣، و٧٨.
- ^{٢١} محمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٩)، ص ٤٣، و٢٢٠.
- ^{٢٢} انظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص ٣٠٠-٣٠٢؛ وكامل خلة، مرجع سابق، ص ٧٣٣-٧٤٣.
- ^{٢٣} انظر: فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٣٩-١٩٤٨ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)، ص ١٠٧-١١١؛ وزهير المارديني، مرجع سابق، ص ١٥٧-١٦٢، و١٧١، و٢٠٠-٢٠٢، و٢٤١، و٢٤٣.
- ^{٢٤} خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ط ٢ (دمشق): الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، (١٩٨٢)، ص ٣٦٧.
- ^{٢٥} حول هذه الفقرة، انظر: فلاح علي، مرجع سابق، ص ١٤١، و١٨١، و١٩٥-١٩٧، و٢٠٣-٢٠٥؛ وحرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨ (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ص ٢٦، و٨٧.
- ^{٢٦} فلاح علي، مرجع سابق، ص ٢٤٨-٢٥٠.
- ^{٢٧} حول حالة الجيوش العربية وسلوكها في حرب ١٩٤٨، انظر مثلاً: عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥١ (صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٥٤)، ج ٢، ص ٣٤٢، و ج ٦، ص ٢٢٥؛ ومحمد عزة دروزة، مرجع سابق، ص ٨٠-٨٩. كما تحدث عن ذلك بإسهاب: صالح أبو يصير في كتابه جهاد شعب فلسطين.
- ^{٢٨} حسين أبو النمل، قطاع غزة ١٩٤٨-١٩٦٧: تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية (بيروت: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، ١٩٧٩)، ص ٢٢-٢٣.
- ^{٢٩} انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج ٢، ص ٣٤٢-٣٤٤، و ج ٤، ص ٣٧٧-٣٧٩، و ٥٥٦-٥٦١؛ وحسين أبو النمل، مرجع سابق، ص ٢٥.
- ^{٣٠} انظر: إبراهيم أبو جابر، "المجتمع العربي في إسرائيل"، في جواد الحمد (محرر)، المدخل إلى القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات رقم ٢١ (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ١٩٩٧)، ص ٤٢٧؛ وانظر أيضاً:
- Salman Abu Sitta, *Palestinian Right to Return* (London: The Palestinian Return Center, 1999), p. 16, 27.
- ^{٣١} كليفورد رايت، حقائق وأباطيل في الصراع العربي الإسرائيلي، ترجمة عبد الله عريقات و عبد الله عياد (عمّان: دار الناصر، ١٩٩٢)، ص ٨٥، نقلاً عن جريدة الجارديان *The Guardian* البريطانية في عدد ١٩٧٣/١١/١٤.